

## تفسير البحر المحيط

. @ 233 @

وروي عن ابن عباس ومجاهد وعلقمة أنهم قالوا : كل شيء نزل فيه : { يَذْهَبْكُمْ }  
أَيْ يَهْلِكُ النَّاسُ { فهو مكى ، و { ذَلِكَ بِأَنَّ السَّادِّينَ كَفَرُوا } فهو مدني .  
أما في { ذَلِكَ بِأَنَّ السَّادِّينَ كَفَرُوا } فصحيح ، وأما في { يَذْهَبْكُمْ }  
أَيْ يَهْلِكُ النَّاسُ { فيحمل على الغالب ، لأن هذه السورة مدنية ، وقد جاء فيها يا أيها  
الناس . وأي في أيها منادى مفرد مبني على الضم ، وليست الضمة فيه حركة إعراب خلافاً  
للكسائي والرياشي ، وهي وصلة لنداء ما فيه الألف واللام ما لم يمكن أن ينادي توصل بنداء  
أي إلى ندائه ، وهي في موضع نصب ، وهاء التنبيه كأنها عوض مما منعت من الإضافة وارتفع  
الناس على الصفة على اللفظ ، لأن بناء أي شبيه بالإعراب ، فلذلك جاز مراعاة اللفظ ، ولا  
يجوز نصبه على الموضع ، خلافاً لأبي عثمان . وزعم أبو الحسن في أحد قوليه أن أيافي  
النداء موصولة وأن المرفوع بعدها خبر مبتدأ محذوف ، فإذا قال : يا أيها الرجل ،  
فتقديره : يا من هو الرجل . والكلام على هذا القول وقول أبي عثمان مستقصى في النحو . .  
اعبدوا ربكم : ولما واجه تعالى الناس بالنداء أمرهم بالعبادة ، وقد تقدم تفسيرها في  
قوله تعالى : { إِيَّاكَ نَعْبُدُ } ، والأمر بالعبادة شمل المؤمنين والكافرين . لا يقال  
: المؤمنون عابدون ، فيكف يصح الأمر بما هم ملتبسون به ؟ لأنه في حقهم أمر بالازدياد من  
العبادة ، فصح مواجهة الكل بالعبادة ، وانظر لحسن مجيء الرب هنا ، فإنه السيد والمصلح  
، وجدير بمن كان مالكاً أو مصلحاً أحوال العبد أن يخص بالعبادة ولا يشرك مع غيره فيها .  
والخطاب ، إن كان عاماً ، كان قوله : { السَّادِّينَ خَلَقَكُمْ } صفة مدح ، وإن كان لمشركي  
العرب كانت للتوضيح ، إذ لفظ الرب بالنسبة إليهم مشترك بين الله تعالى وبين آلهتهم ،  
ونبه بوصف الخلق على استحقاقه العبادة دون غيره ، { أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا }  
يَخْلُقُ { ، أو على امتنانه عليهم بالخلق على الصورة الكاملة ، والتميز عن غيرهم  
بالعقل ، والإحسان إليهم بالنعم الظاهرة والباطنة ، أو على إقامة الحجة عليهم بهذا  
الوصف الذي لا يمكن أن يشرك معه فيه غيره ، ووصف الربوبية والخلق موجب للعبادة ، إذ هو  
جامع لمحبة الاصطناع والاختراع ، والمحبة يكون على أقصى درجات الطاعة لمن يحب . وقالوا :  
المحبة ثلاث ، فزادوا محبة الطباع كمحبة الوالد لولده ، وأدغم أبو عمر وخلقكم ، وتقدير  
تفسير الخلق في اللغة ، وإذا كان بمعنى الاختراع والإنشاء فلا يتصف به إلا الله تعالى . .  
وقد أجمع المسلمون على أن لا خالق إلا الله تعالى ، وإذا كان بمعنى التقدير ، فمقتضى

اللغة أنه قد يوصف به غير الله تعالى ، كبيت زهير . وقال تعالى : { فَتَدَبَّرَكَ اللَّاهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ } ، { وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطَّيْنِ } . وقال أبو عبد الله البصري ، أستاذ القاضي عبد الجبار : إطلاق اسم الخالق على الله تعالى محال ، لأن التقدير والتسوية عبارة عن الفكر والظن والحسبان ، وذلك في حق الله تعالى محال . وكأنَّ أبا عبد الله لم يعلم أن الخلق في اللغة يطلق على الإنشاء ، وكلام البصري مصادم لقوله تعالى : { هُوَ اللَّاهُ الْخَالِقُ } ، إذ زعم أنه لا يطلق اسم الخالق على الله ، وفي اللغة والقرآن والإجماع ما يرد عليه . وعطف قوله : { خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ } على الضمير المنصوب في خلقكم ، والمعطوف متقدّم في الزمان على المعطوف عليه وبدأ به ، وإن كان متأخراً في الزمان ، لأن علم الإنسان بأحوال نفسه أظهر من علمه بأحوال غيره ، إذ أقرب الأشياء إليه نفسه ، ولأنهم المواجهون بالأمر بالعبادة ، فتنبههم أولاً على أحوال